الباب الثاني

في ظلال العهد المدني

مع أول خطبة للرسول في المدينة المنورة

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال :

كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أنه قام فيهم فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس فقدِّموا لأنفسكم ، تعلمُنَّ والله ليُصعقنَّ أحدُكم ، ثم ليدعنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولنَّ له ربه ليس له ترجمانٌ ولا حاجبٌ يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلَّغك ، وآتيتك مالاً ، وأفضلت عليك ، فما قدَّمت لنفسك فلينظرنَّ يميناً وشمالاً فلا يرىٰ شيئاً ، ثم لينظرنَّ قدامه فلا يرىٰ غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيِّبة ، فإن بها تُجزىٰ الحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمئة ضعف ، والسلام علىٰ رسول الله ورحمة الله وبركاته »[1] .

* * *

إنها افتتاحية رائعة لعهد جديد ، حيث أراد الرسول ﷺ أن يضع النقاط علىٰ الحروف ، فنبَّه إلىٰ ضرورة الالتفات إلىٰ ما هو أهم .

فالمسألة ليست أياماً دنيوية فحسب ، إنما هناك ما هو أهم وأدوم ،

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي : ٢/ ٥٢٤ .

إنها مسألة الوقفة أمام الله للمحاكمة ، فمن قدَّم في الدنيا الخير فاز هناك برضا الله سبحانه ، وإلا فلينتظر نار جهنَّم!

قال الله تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ـ٨] .

وليست المسألة بالكم ، إنما هي بالكيف ، فرُبَّ دينار واحد أفضل في ميزان الله من ألف دينار ، فالكيِّس الكيِّس من قدَّم الخير في الدنيا ، ليلقىٰ الفوز في الآخرة .

* * *

حنين الجذع!!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ يقوم مسنداً ظهره إلىٰ جذع منصوب في المسجد يوم الجمعة ، فخطب الناس فجاءه روميّ ، فقال : يارسول الله! ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم ؟ فصنع له منبراً درجتين ويقعد علىٰ الثالثة ، فلما قعد رسول الله ﷺ علىٰ ذلك المنبر ، خار الجذع كخوار الثور حتىٰ ارتجَّ المسجد بخواره ، فنزل إليه رسول الله ﷺ فالتزمه فسكن .

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال كذا إلىٰ يوم القيامة حزناً علىٰ رسول الله ، ثم أمر به فدُفن »[1] .

* * *

إنها صورة من صور حبِّ الجمادات لرسول الله ﷺ!

وليس هناك في الوجود شيء إلا ويحب الرسول عدا الكافر والملحد ، وذلك لأن الله تعالىٰ قرَّر في القرآن الكريم مسألة الطاعة للرسول ، قال تعالىٰ :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ

---

(١) فتح الباري : ٢/ ٣٩٧ ، دلائل البيهقي : ٢/ ٥٥٨ .

أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] .

وليس في حبِّ الجمادات للرسول أي عجب ، وذلك لأن في القرآن أدلة واضحة علىٰ تجاوب الجمادات مع عباد الله ، مثال ذلك قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص : ١٨] ، إن الجبال الجامدة ردّدت مع نبي الله داود التسبيح والحمد والشكر لله رب العالمين ، وفي السيرة النبوية أدلَّة كثيرة علىٰ أمثال ذلك .

* * *

يارسول الله : ما يضحكك ؟!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ يدخل علىٰ أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته ثم جلست تَفْلي رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك .

قالت : فقلت : ما يضحكك يارسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله يركبون وسط البحر ، ملوكاً علىٰ الأسرَّة ، أو مثل الملوك علىٰ الأسرَّة » .

فقلت : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك .

قالت : فقلت : يارسول الله ما يضحكك ؟ قال : « ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله » كما قال في الأولىٰ ، قالت : فقلت : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم .

قال : « أنتِ من الأولين » .

فركبَتْ أم حرام البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان[1] ، فصُرعت عن

---

(١) في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، عندما كان معاوية والياً علىٰ الشام ، حيث فتحت قبرص عام (٢٧ هـ) .

دابتها حين خرجت من البحر فهلكت[1] .

* * *

إنها واحدة من نبوءات رسول الله ﷺ ، وهي جزء من غيب الله أطلع الله رسوله عليه ، وقد حدث فعلاً ، حيث دُفنت أم حرام في جزيرة قبرص ، بعد أن وصلت إليها مع الجيش الفاتح ، وما زال قبرها حتىٰ الآن ، ويُقال له : قبر المرأة الصالحة .

* * *

(١) سنن الترمذي : رقمه (١٦٤٥) ، سنن النسائي : ٦/ ٤٠ ، سنن أبي داود : رقمه (٢٤٩) .

من يمنعك مني يا محمد ؟!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

غزوت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد ، فلما قَفَلَ[1] رسول الله قفلنا معه ، فأدركتنا القائلة[2] في وادٍ كثير العضاه[3] .

وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرةٍ وعلَّق سيفه ونمنا نومة .

فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي ، فقال : « إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صَلْتاً[4] » .

فقال : من يمنعك مني ؟

فقلت : « الله ، الله ، الله » ، ولم يعاقبه وجلس[5] .

* * *

إنه الخُلُق القرآني النبوي ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

---

(١) أي : عاد .
(٢) أي : القيلولة .
(٣) نوع من الشجر كثير النبت في البادية .
(٤) أي مجرداً .
(٥) مسند أحمد : ٣/ ٣١١ .

فحقيقة التسامح والعفو ، هي العفو عند المقدرة ، لكن هذه المرتبة لا يبلغها إلا من روَّض نفسه علىٰ التحمُّل والصبر ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ـ٣٥] .

* * *

في ضيافة أبي أيوب!!

قال ابن إسحاق بسنده عن أبي أيوب رضي الله عنه قال :

لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفل ، وأنا وأمّ أيوب في العُلُو ، فقلت له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظهر أنت فكن في العلو ، وننزل نحن فنكون في السفل .

فقال : « يا أبا أيوب ، إنَّ أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سُفل البيت » .

قال : فكان رسول الله ﷺ في سُفله ، وكنَّا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبٌّ[1] لنا فيه ماءٌ فقمتُ أنا وأم أيوب بقطيفةٍ لنا ما لنا لحافٌ غيرها ننشِّف بها الماء تخوُّفاً أن يقطر علىٰ رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه[2] .

* * *

عندما وصل الرسول ﷺ إلىٰ المدينة المنورة ، واستقبله المسلمون جميعاً كأفضل ما يكون الاستقبال ، أراد كل واحد منهم أن يتشرَّف باستضافته صلوات الله عليه ، ولذلك حاول كل واحد أن يأخذ بزمام

---

(١) هو وعاء الماء كالجرة ونحو ذلك .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢/ ١١٦ ، مسند أحمد : ٥/ ٤٢٠ .

ناقته ، لكنه كان يقول لهم : « دعوها فإنها مأمورة ، إنما أنزل حيث أنزلني الله تعالىٰ »[1] .

ويشاء الله أن يكرم الصحابي المتواضع الصادق أبا أيوب رضي الله عنه ، فنزل عنده رسول الله ﷺ ، وعلىٰ الرغم من فقر حاله وقلّة ماله ، حاول أن يفدي رسول الله ﷺ بكل ما يستطيع .

وهذا درسٌ من دروس الحبِّ والفداء للنبي ﷺ .

* * *

(١) دلائل البيهقي : ٢/ ٥٠١ .

إنها بركة رسول الله!!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

لما حُفر الخندق رأيت في النَّبي ﷺ خَمَصاً[1] ، فانكفأت إلىٰ امرأتي فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً ، فأخرجت إليَّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بُهيمة داجنٌ[2] فذبحتها وطحنت الشعير ففرغَتْ إلىٰ فراغي ، وقطعتها في بُرمتها[3] ثم ولَّيت إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقالت : لا يفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه ، فجئته فساررته فقلت : يارسول الله ذبحنا بُهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النَّبي ﷺ فقال : « يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سُوراً[4] فحيّهلا بكم » ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تنزلنَّ بُرمتكم ، ولا تخبزنَّ عجينكم حتىٰ أجيء » ، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدُم الناس ، فأخرجت له عجيناً ، (فبسق= فبصق) فيه وبارك ، ثم عمد إلىٰ برمتنا فبسق فيها وبارك ، ثم قال : « ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها » .

---

(١) أي : جوعاً .
(٢) أي : شاة سمينة .
(٣) هي القدر يطبخ فيه الطعام .
(٤) أي : طعاماً .

وهم ألفٌ فأقسم بالله لقد أكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا ، وإنَّ بُرمتنا لتغطّ كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو!![1] .

* * *

هذه من القضايا التي لا توزن بالموازين المادية المعروفة ، لأن القضية تدخل في باب المعجزات التي أعطاها الله للأنبياء ، وهي كثيرة ، ذكرتها كتب الشمائل والسيرة ، وفي القرآن نماذج من المعجزات ، كمعجزة عصا موسىٰ ونحو ذلك .

* * *

(١) الأنوار في شمائل النبي المختار ، للبغوي : ١/ ١١٤ .

لتخرجنَّ الكتاب أو...!!

قال علي رضي الله عنه :

بعثني النَّبي ﷺ أنا والزبير والمقداد ، فقال : « انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ[1] فإن بها ظعينة[2] معها كتابٌ ، فخذوه منها » .

فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتىٰ انتهينا إلىٰ الروضة فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجي الكتاب ، قالت : ما معي كتاب ، قلنا : لتخرجنَّ الكتاب أو لتلقينَّ الثياب ، فأخرجته من عقاصها[3] ، فأتينا به النَّبي ﷺ ، فإذا فيه :

من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر النَّبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذا يا حاطب ؟ » قال : يارسول الله لا تعجل عليَّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون أهليهم بمكة ولم تكن لي قرابة فأحببتُ أن أتخذ فيهم يداً إذ فاتني ذلك يحمون بها قرابتي ، وما فعلته كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فقال عمر : يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : « إنه

---

(١) مكان قريب من المدينة المنوّرة .

(٢) أي : المرأة في الهودج .

(٣) العقاص : هو الخيط الذي يعتقص به أطراف الذوائب والشعر المضفور .

شهد بدراً فما يدريك لعلَّ الله اطَّلع علىٰ أهل بدرٍ فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[1] .

* * *

وهذه من الأمور الغيبية التي أطلع الله رسوله ﷺ عليها ، وفيها من الدلائل علىٰ عفو رسول الله ﷺ ورحمته بمن ارتكب ما يسمىٰ اليوم (الخيانة العظمىٰ) ، وذلك بسبب أنه حضر أول غزوة في سبيل الله وهي بدر ، رضي الله عنهم جميعاً .

* * *

(١) صحيح البخاري : رقمه (٣٠٠٧) ، صحيح مسلم : رقمه (١٦١) ، مسند أحمد : ١/ ٧٩ .

يا لها من قصور!!

وعن عطاء الخراساني قال : سمعت في مجلسٍ فيه عمر بن أبي أنس يحدث الناس فيما بين القبر والمنبر ، يقول :

أدركت حُجر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل علىٰ أبوابها المسوح من شَعْر أسود ، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النَّبي في مسجد رسول الله ، فما رأيت أكثر باكياً من ذلك اليوم .

قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذٍ : والله لوددتُ أنهم تركوها علىٰ حالها ينشأ ناشيءٌ من أهل المدينة ، ويقدم القادم من الأفق فيرىٰ ما اكتفىٰ به رسول الله ﷺ في حياته ، فيكون ذلك مما يزهِّد الناس في التكاثر والتفاخر ، قال معاذ : فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمر بن أبي أنس :

كان منها أربعة أبياتٍ بلبن ، لها حجرٌ من جريد ، وكانت خمسة أبياتٍ من جريد مطيَّنة لا حُجر لها ، وعلىٰ أبوابها مسوح الشعر ، ذَرَعْتُ الستر فوجدتُه ثلاث أذرعٍ في ذراعٍ والعظم أو أدنىٰ من العظم ، فأما ما ذكرتُ من البكاء يومئذٍ فلقد رأيتني في مجلسٍ فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وأبو أمامة بن سهل بن حنيف ، وخارجة بن زيد بن ثابت وإنهم ليبكون حتىٰ أخضل لحاهم الدمع ، وقال يومئذٍ أبو أمامة : ليتها تُركت فلم تُهدم حتىٰ يقصر

الناس عن البناء ، ويروا ما رضي الله لنبيّه ﷺ ومفاتيح خزائن الدنيا بيده!![1] .

* * *

أجل!

هذه بيوتات زوجات رسول الله ﷺ ، فمن طلب البيوت الفاخرة فليستمع إلىٰ كيفية ما كانت عليه تلك البيوت ، وليقارن وليتساءل : وهل في الكون أفضل من نسائه صلوات الله عليه ؟![2] .

* * *

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد : ٨/ ١٦٧ .

(٢) للتوسُّع يراجع كتاب : إطلالة قرآنية علىٰ بيت النبوّة ، للمؤلف .

أخوّة في الله!!

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال :

لما قدمنا المدينة آخىٰ رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : إني أكثرُ الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أيَّ زوجتيَّ هويتَ نزلت لك عنها فإذا حلَّت تزوجتها ، قال : فقال عبد الرحمن : لا حاجة لي في ذلك ، هل من سوقٍ فيه تجارة ؟

قال : سوق قينقاع ، قال : فغدا إليه عبد الرحمن فأتىٰ بأقطٍ وسَمْن .

قال : ثم تابع الغُدُوَّ فما لبث أن جاء عبد الرحمن وعليه أثرُ صفرةٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « تزوَّجتَ ؟ » ، قال : نعم ، قال : « ومَنْ ؟ » قال : امرأةً من الأنصار ، قال : « كم سُقتَ ؟ » قال : زنة نواةٍ من ذهبٍ ، أو نواةٌ من ذهب ، فقال له النَّبي ﷺ : « أوْلِم ولو بشاة »[1] .

* * *

هذا المشهد فيه من الدروس والعبر الشيء الكثير!

فالمجتمع الذي ربّاه رسول الله ﷺ علىٰ تعاليم القرآن والخُلُق الرفيع ، هو المجتمع الذي لم تعرف الدنيا مثله ، ولن تعرف مثله أبداً .

إلىٰ درجة أن يتنازل أخ لأخيه عن إحدىٰ زوجاته ليتزوجها هو!!

---

(١) صحيح البخاري : ٥/ ٨٨ ، سنن الترمذي : ٤/ ٣٢٨ ، سنن النسائي : ٦/ ١٣٧ .

هذا لعمري أمر عجب ، لكن حينما نقرأ في القرآن : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] نعلم أن الرعيل الأول فهم كل جزئيات الأخوّة هذه ، ولذلك إذا عُرف السبب بطل العجب .

وبالمقابل تلك العفّة ، حيث أراد الصحابي الآخر أن ينطلق إلىٰ السوق ، ليعيش بكدِّ يمينه وعرق جبينه ، لا أن يكون عالة علىٰ أخيه ، لذلك كان التوفيق وكانت السعادة في الدنيا قبل الآخرة .

* * *

أَوْجَفْتَني يارسول الله!!

قال ابن إسحاق : وحدثني حبّان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدَّل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْحٌ[1] يُعدِّل به القوم ، فمرَّ بسوَّاد بن غزيّة حليف بن عديٍّ بن النجار وهو مستنتلٌ[2] من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : « استو يا سوَّاد » ، فقال : يارسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأَقِدْني[3] ، قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، وقال : « استَقِدْ » ، قال : فاعتنقه ، فقبَّل بطنه ، فقال : « ما حملك علىٰ هذا يا سوَّاد ؟ »

قال : يارسول الله ، حضر ما ترىٰ ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير[4] .

* * *

حبٌّ لا مثيل له ، دفع واحداً من الصحابة وهو (سوَّاد) إلىٰ أن يتحايل بكل ذكائه ليصل إلىٰ تقبيل بطن حبيبه المصطفىٰ ﷺ ، وهذه أمنيةٌ يتمناها ، بل يتمنَّىٰ أن تكون آخر عهده بالدنيا ، رجاء ألا تمسَّ النار جلده ، لأنه مسَّ جلد حبيبه رسول الله!!

---

(١) أي : السهم الذي يُرمىٰ به عن القوس .
(٢) أي : متقدِّم .
(٣) أي : يريد القصاص .
(٤) تاريخ الطبري : ٢/ ٤٤٦ ، عيون الأثر : ١/ ٢٥٥ ، طبقات ابن سعد : ٣/ ٥١٦ .

والشيء الآخر الرائع ، هو إجابة الرسول لواحد من جنده يريد أن يأخذ القصاص منه ، لأنه ضربه ، فيرفع الرسول عن بطنه ليقتص منه!!

وهذا قمة العدل والأخلاق الفاضلة ، فصلوات الله علىٰ القدوة محمد رسول الله ، ورضي الله عن صحبه الكرام أجمعين .

* * *

يا لها من رأفة!!

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

لما بعث أهل مكة في فداء أسراهُم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الرَّبيع بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها علىٰ أبي العاص حين بنىٰ عليها .

قالت : فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقَّةً شديدة ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها مالها فافعلوا » .

فقالوا : نعم يارسول الله ، فأطلقوه وردُّوا عليها الذي لها[1] .

* * *

فداك أبي وأمي يارسول الله ! !

لقد وصفك الله تعالىٰ في القرآن الكريم وصفاً رائعاً ، فقال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وهذا الوصف تجسَّد في كثير من المواقف ، منها ما ذكرته كتب الأحاديث والسيرة ، أنه عليه الصلاة والسلام بعد سنوات من وفاة زوجته خديجة الكبرىٰ ، رأىٰ قلادةً لها ، كانت أهدتها إلىٰ ابنتها زينب يوم

---

(١) سنن أبي داود : ٣/ ١٤٠ ، مسند أحمد : ٦/ ٢٧٦ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ٢٣٦ .

زفافها ، فرقَّ فؤاده ، وبكت عيناه صلوات الله عليه ، وفي هذا درس للإنسانية جمعاء ملخصه أن الموت لن يستطيع تفريق الأحبة ـ حتىٰ لو فرَّق الأجساد ـ لأن الأرواح إذا تآلفت اجتمعت وتحابت .

كذلك مسألة طلبه ـ وبرفق ـ من جنوده ، أن يطلقوا أسير ابنته ويردوا عليها مالها ـ إن شاؤوا ـ فإن في ذلك درس عظيم للتعامل بين القائد وجنوده ، ومن أعظم في مجال الأخلاق من سيدنا رسول الله ؟!

* * *

جهاز بنت رسول الله!!

عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا :

أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهِّز فاطمة حتىٰ ندخلها علىٰ عليّ ، فعمدنا إلىٰ البيت ففرشناه تراباً ليِّناً من أعراص البطحاء ، ثم حشونا مرفقتين[1] ليفاً ، فنفشناه بأيدينا ، ثم أطعمنا ترماً وزبيباً ، وسقينا ماءً عذباً ، وعمدنا إلىٰ عُودٍ فعرضناه في جانب البيت ليُلقىٰ عليه الثوب ويُعلَّق عليه السقاء ، فما رأينا عُرساً أحسن من عرس فاطمة!![2] .

* * *

كانت عيشة بسيطة هادئة لا تسمع فيها لاغية .

لذلك كانوا يعيشون الرضا بكل ما جاء من عند الله ، لا يهتمون برزق يوم الغد ، ولا يحزنون ويتأسَّفون علىٰ ما مضىٰ ، إنما كانوا يصبرون علىٰ الجوع ويشكرون الله سبحانه وتعالىٰ على نعمه .

إلىٰ درجة أن الواحد منهم كان لا يملك قوت ليلته ومع ذلك تراه يطلق كلمات التسليم والرضا ، ليدلَّك علىٰ أن المسألة ليست بكنز المال وما إلىٰ هنالك ، إنما الأمر بالقناعة ، ولذلك كان الواحد منهم يقول : إنا نعيش في سعادةٍ لو علمت بها الملوك لقاتلتنا عليها بالسيوف!!

---

(١) المرفقة : تشبه الوسادة .

(٢) سنن ابن ماجه : ١/٦١٦ .

وهذه صورة من صور ما كانت عليه الزهراء رضي الله عنها ليلة زفافها إلىٰ بيت ابن عمها علي كرم الله وجهه ، فلا غرف النوم الإيطالية ، ولا غرف الطعام الأمريكية ، ولا . . . !!

إنما الأمر أبسط من ذلك كله ، فهل يستمع المسلمون ـ وخاصة النساء ـ إلىٰ ذلك ؟!

* * *

أهكذا عيشة بنت رسول الله ؟!

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

أتت فاطمة النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقىٰ في يدها من الرحىٰ ، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه ، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته عائشة ، قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا نقوم فقال : « ألا أدلكما علىٰ خيرٍ مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلىٰ فراشكما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبِّرا أربعاً وثلاثين فهو خيرٌ لكما من خادم »[1] .

* * *

الرعيل الأول من هذه الأمة ـ وعلىٰ رأسهم رسول الله ﷺ ـ كانوا يعيشون في هذه الدنيا أجساداً ، بينما كانت أرواحهم وآمالهم وتفكيرهم وطموحاتهم تدور حول ما هو أهم بكثير ، ألا وهي الآخرة ، وما أعدَّه الله بها للمؤمنين من نعيم الجنان ، وأعلىٰ من ذلك كله رضا الله ورؤية نور وجهه .

وهذا الأمر ليس شعارات جوفاء يطرحها الإسلام ليخدِّر بها البسطاء والفقراء والمساكين ، وليتركهم في غيبوبة الأحلام والانتظار!

---

(١) صحيح البخاري : ٧/ ٨٤ ، سنن الترمذي : ٥/ ٤٧٧ ، سنن أبي داود : ٥/ ٣٠٧ .

إنما القضية ملموسة بشكل عملي ، فتلكم الفتاة المحبَّبة إلىٰ قلب أبيها سيدنا رسول الله ، والتي قال عنها : « فاطمة بضعة مني ـ وفي رواية ـ شجنة مني » ومع كل ذلك ، عندما جاءت تطلب من أبيها خادماً يساعدها علىٰ تدبير شؤون البيت وما إلىٰ هنالك ، كان ردُّ رسول الله أن تذكر ـ مع زوجها علي ـ الله ويحمدانه ويكبرانه ، لأن ذلك في الميزان الشرعي أفضل من الخادم!!

* * *

حوار ديمقراطي!!

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت عليَّ غضبىٰ » .

فقلت : من أين تعرف ذلك ؟

فقال لها : « إذا كنت عني راضية ، فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبىٰ ، قلت : لا ورب إبراهيم » .

قلت : أجل ، والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك[1] .

* * *

بعد أن قرأت هذا الحديث الصحيح وكيف كان الرسول ﷺ يعلم ويخبر زوجته أنه يميِّز بين الوقت الذي تكون فيه راضية عنه ، وبين الوقت الذي تكون فيه غضبىٰ عليه .

تذكَّرت أن الكثيرين منا مازال يصرُّ علىٰ مسألة ضرب الزوجة وإهانتها وعدم إعطائها حرية التعبير عن رأيها وما إلىٰ هنالك ـ تحت ذريعة أن الشريعة تأمر بذلك!! ـ .

---

(١) صحيح مسلم : رقمه (٢٤٣٩) ، مسند أحمد : ٦/٢١٣ .

فعلمتُ يقيناً ، أن الكثيرين من أدعياء الإسلام مهمتهم تشويه حقائق الإسلام[1]!!

ورحم الله الإمام محمد عبده عندما قال :

ولكنَّ ديناً قد أردتُ صلاحه مخافة أن تطغىٰ عليه العمائم

وهل تؤخذ الأحكام إلا من سيرة وسنة رسول الله ﷺ ؟

* * *

(١) للتوسع يراجع كتاب : شخصية المرأة المسلمة في القرآن والسنة للمؤلف : ٧٤ـ٩٩ .

لا أعصي لك أمراً!!

حين قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً ، تلقاه طلحةُ بن البراء ، وهو غلام حدث ، وصار يلصق بدنه بناقة رسول الله ﷺ ، ويقبِّل قدميه وهو يقول : يارسول الله ، مرني بما أحببت ، لا أعصي لك أمراً .

فضحك لذلك رسول الله ﷺ وأُعجب به ، فقال له مداعباً : اذهب فاقتل أباك!

فذهب طلحة راكضاً ليقتل أباه كما طلب منه رسول الله ﷺ ، فدعاه النبي عليه الصلاة والسلام ، وقال : « إني لم أُبعث بقطيعة الرحم » .

ثم مرض طلحة بعد ذلك فأتاه رسول الله يعوده ، وكان في شتاء وبرد وغيم ، فقعد عنده رسول الله ﷺ ثم انصرف وهو يقول : « إني لأرىٰ طلحة قد حدث عليه الموت ، فإذا مات فآذنوني به حتىٰ أصلِّي عليه وعجلوا » .

فلم يبلغ رسول الله بني سالم ، حتىٰ توفي طلحة وجنَّ عليه الليل ، وقال طلحة عند وفاته : إذا متُّ فادفنوني وألحقوني بربي ، ولا تدعوا رسول الله ﷺ ، فإني أخاف عليه اليهود ، وأن يُصاب بسببي .

ففعلوا ذلك وأخبروا رسول الله حين أصبح ، فجاء رسول الله ووقف علىٰ قبره وصف الناس ورفع يديه وقال : « اللهو الْقَ طلحة وأنت تضحك إليه وهو يضحك إليك »[1] .

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : ٣/ ٢٨٨ .

رضي الله عنك يا طلحة بن البراء ، كم كنت تحب النَّبي ﷺ وكم كنت تخاف عليه من غدر اليهود وما إلىٰ هنالك ؟! وكم كنتَ علىٰ استعداد لأن تفدي الحبيب بروحك وكل ما تملك !

لذلك نلت هذه المكانة الرفيعة ، ويا ليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً .

* * *

ما علىٰ هذا اتبعتك ؟!

عن شداد بن الهاد قال :

جاء رجل من الأعراب رسول الله ﷺ ، فآمن به واتبعه فقال : أهاجر معك ؟!

فأوصىٰ به النَّبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر ، وغنم رسول الله ﷺ الغنائم وقسمها ، قسم له ، فأعطىٰ النبي أصحابه ما قسم له ، وكان يرعىٰ إبله ، فلما جاء دفعوا إليه قسمته ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله ، فجاء الأعرابي إلىٰ رسول الله ومعه نصيبه ، فسلم علىٰ النبي ثم قال : ما علىٰ هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك علىٰ أن أُرمىٰ بسهم هنا ـ وأشار إلىٰ حلقه ـ فأموت فأدخل الجنة ! !

فقال النَّبي ﷺ : « إن تصدق الله يصدقك » ، ثم نهضوا إلىٰ قتال العدو ، مرة أخرىٰ فأُتي به رسول الله محمولاً ، وقد أصابه سهم حيث أشار .

فقال الرسول : « أهو هو ؟ » قالوا : نعم ، قال : « صدق الله فصدقه » ، وكفَّنه النبي في جبَّته ، أي جبَّة النبي ثم قدمه وصلىٰ عليه ، وقال : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، قُتل شهيداً ، وأنا عليه شهيد »[1] .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير : ٢/ ٣٦٢ .

أجل!

عندما باعوا أرواحهم في سبيل الله ، وصدقوا الله في ذلك ، صدقهم الله ما وعدهم إياه : ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة : ١١١] لذلك نظروا إلىٰ كل ما في الدنيا فوجدوه لا شيء يُذكر أمام نعيم الآخرة ورضوان الله تعالىٰ .

من هنا نفهم سرَّ تخليد الله سبحانه لسير حياتهم ، رضي الله عنهم .

* * *

هذه بتلك!!

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

خرجت مع النَّبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أُبدن ، فقال للناس : « تقدموا » ، فتقدموا .

ثم قال لي : « تعالي حتىٰ أسابقك » ، فسابقته ، فسبقته ، فسكت عني حتىٰ إذا حملتُ اللحم وبدُنت ونسيتُ خرجت معه في بعض أسفاره .

فقال للناس : « تقدموا » ، فتقدموا .

ثم قال : « تعالي حتىٰ أسابقك » ، فسابقته ، فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول : « هذه بتلك »[1] .

* * *

هل هذه هي إحدىٰ الدعايات الانتخابية ، حيث يريد الرسول ﷺ أن يكسب أصوات النساء إلىٰ جانبه ؟!

أبداً ، فهو القدوة والأسوة للأمة ، وهو القائد العظيم ورئيس الدولة وخاتم الأنبياء ﷺ ، ومع كل تلك الأمور الجسيمة الملقاة علىٰ عاتقه لم ينس حق زوجته عليه ، فهي المرأة المرهفة الأحاسيس ، والتي تحمل المشاعر وما إلىٰ هنالك .

---

(١) مسند أحمد : ٦/ ١٢٩ ، سنن أبي داود : ٣/ ٦٦ ، سنن ابن ماجه : ١/ ٦٣٦ .

لذلك سابقها أول مرة فسبقته ، وبعد فترة سمنت وكثر لحمها ، فسابقها فسبقها ، فأعلن التعادل بينها وبينه قائلاً : « هذه بتلك » .

وليس في مزاح الرجل مع زوجته أي ضير أو حُرمة ، بل علىٰ العكس تماماً ، فمزاحه معها وملاعبته إياها ، نوع من الصدقة ، يكتبها الله في صحيفته ، وهذه دعوة مفتوحة إلىٰ كل الأزواج ليجعلوا من سيرة الرسول أنموذجاً للأسوة والقدوة :

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

* * *

الله يدافع عن رسوله!!

يبين القرآن الكريم ، أن الأنبياء السابقين ، عندما كانوا يواجهون أقوامهم وعنادهم وما إلىٰ هنالك ، كان كل واحد منهم ـ عليهم السلام ـ يقوم بمهمة الردِّ علىٰ الأعداء ، وكذلك بمهمة الدفاع عن نفسه .

أما الرسول الخاتم عليه أفضل الصلاة والسلام ، فالذي تولَّىٰ الردَّ عليهم ـ أي علىٰ أعدائه ـ وكذلك فالذي دافع عنه هو الله تعالىٰ .

وفي ذلك دليل واضح علىٰ مكانته العلية ، وقدره المتميِّز صلوات الله عليه .

ومن الأمثلة علىٰ ذلك :

في قصة هود عليه السلام مع قومه ، قال تعالىٰ :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٦ـ٦٧] .

وفي قصة نوح عليه السلام ، قال الله سبحانه :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٠ـ٦١] .

بينما حين اتهموا رسول الله ﷺ بأنه : شاعر وكاهن ، ردّ الله ودافع عنه بقوله :

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

﴿شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الحاقة : ٣٨ـ٤٣] .

وعندما وجَّه المشركون إلىٰ النَّبي ﷺ تهمة الجنون وأنه يتعامل مع الجنِّ! دافع الله عنه وردَّ عليهم بقوله :

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

[التكوير : ٢٢ـ٢٧] .

* * *

مع جُليبيب!!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، يقال له جُليبيب ، وكان في وجهه دمامة ، وهو قصير القامة ، فعرض رسول الله ﷺ عليه التزويج ، فقال : إذن تجدني كاسداً يارسول الله!!

فقال الرسول : « ولكنك عند الله لست بكاسد » ، فخطب له رسول الله إحدىٰ بنات الأنصار ، وشعرت البنت بأن أبويها كأنهما قد حزنا أن يكون هذا نصيب ابنتهما .

فقامت البنت لأبويها وقرأت قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

ثم قالت : رضيت وسلمت لما يرضىٰ لي به رسول الله ، فسمع رسول الله ﷺ بذلك ، فدعا لها بالخير ، وقال : « اللهم اصبب عليها الخير صبّاً ، ولا تجعل عيشها كدّاً »[1] .

* * *

درسٌ عظيم تعلَّمه صحابة رسول الله ـ رجالاً ونساءً ـ وهو أن لا خيرة أمام ما يقضي به الله ورسوله ، وذلك لأن الله والرسول لا يقضيان إلا بما فيه مصلحة البلاد والعباد .

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر : ١/ ٢٧٣ .

ولذلك ما إن أشار الرسول علىٰ (جليبيب) ـ ذلك الصحابي الفقير المسكين ، ذو القامة القصيرة ، والوجه الدميم ـ ما إن أشار عليه بأن يذهب إلىٰ بيت أحد الأنصار ويطلب الزواج من ابنتهم ، حتىٰ انطلق دون تردُّد .

وبالطرف المقابل كان موقف الفتاة يشبه موقف (جليبيب) ، فما إن علمت أن الرسول قد أرسله ليخطبها من أهلها حتىٰ وافقت .

وهذا هو السرُّ وراء نجاحهم في مسيرة الحياة ، لأنهم سلَّموا كل أمر أمام أمر الله ورسوله .

* * *

قالت : هلمّ إلىٰ الحديث!!

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به أن فَضالة بن عُمير بن الملوِّح الليثي أراد قتل النَّبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : « أفضالة ؟ » ، قال : نعم فضالة يارسول الله ، قال : « ماذا كنت تحدِّث به نفسك ؟ » ، قال : لا شيء ، كنت أذكر الله عز وجل!!

قال : فضحك النَّبي ﷺ ثم قال : « استغفر الله » ، ثم وضع يده علىٰ صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتىٰ ما من خَلْق الله شيء أحبّ إليَّ منه .

قال فضالة : فرجعت إلىٰ أهلي ، فمررت بامرأةٍ كنت أتحدثُ إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلىٰ الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلىٰ الحديث، فقلت: لا ... يأبىٰ عليكِ الله والإسلامُ
لو ما رأيتِ محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسّر الأصنامُ
لرأيت دين الله أضحىٰ بيِّناً ... والشرك يغشىٰ وجهه الإظلامُ[1]

* * *

أطلع الله سبحانه النَّبي ﷺ علىٰ ما خطط له (فضالة) ، ومع ذلك أراد أن يُقيم عليه الحجَّة الدامغة ، فسأله : « ماذا كنت تحدِّث به

---

(١) سيرة ابن هشام : ٤/ ٣٧ ، طبقات ابن سعد : ٧/ ٧٩ .

نفسك ؟ » فأخفىٰ فضالة الحقيقة وادَّعىٰ أنه كان يذكر الله ! !

فما كان من صاحب الخُلق العظيم إلا أن قال له : « استغفر الله » ، ثم وضع يده علىٰ صدره ودعا الله أن يزيل عنه الحقد ونحو ذلك ! !

وهذا درسٌ بليغ لكل مسلم ـ وخاصةً المتصدِّرين للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ـ ألا يحملوا في صدورهم الحقد والكراهية ، حتىٰ تجاه الكفرة والمارقين ، إنما عليهم أن يسألوا الله الهداية لكل الناس ، من حيث : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

* * *

وأنا خيركم لأهلي!!

قال الحافظ ابن قيِّم الجوزية رحمه الله تعالىٰ[1] :

. . . وكان ﷺ يُسرِّب إلىٰ عائشة بنات الأنصار يلعبن معها ، وكان إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه ، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه ، فوضع فمه في موضع فمها وشرب ، وكان إذا تعرقت عِرْقاً ـ وهو العظم الذي عليه لحم ـ أخذه فوضع فمه في موضع فمها ، وكان يتكىء في حجْرها ، ويقرأ القرآن ورأسه في حجْرها ، وربما كانت حائضاً ، وكان يأمرها وهي حائض فتتَّزر ثم يُباشرها ، وكان يقبِّلها وهو صائم ، وكان من لطفه وحسن خُلُقه مع أهله أنه يمكِّنها من اللعب ، ويريها الحبشة وهم يلعبون في مسجده ، وهي متكئة علىٰ منكبيه تنظر ، وسابقها في السفر علىٰ الأقدام مرتين ، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة ، وكان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهنَّ خرج سهمها ، خرج بها معه ، ولم يقضِ للبواقي شيئاً ، وإلىٰ هذا ذهب الجمهور .

وكان يقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي »[2] .

* * *

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد : ١/ ١٤٦ .

(٢) سنن الترمذي : رقمه (٣٨٩٢) ، سنن ابن ماجه : رقمه (١٩٧٧) .

لو قرأ كل رجلٍ أمثال هذه القصة التي حدثت بين الرسول ﷺ وزوجته عائشة رضي الله عنها ، وتمثَّل ذلك حقيقة وعملياً ، لعاشت الأُسر عيشة هادئة ، ولارتاح المصلحون والمحامون والقضاة والمحاكم!!

لكن ـ وللأسف ـ ونحن الذين ننتمي إلىٰ رسول الله ، ترىٰ في مجتمعاتنا الشيء المناقض لفعل رسول الله ، فهو الذي قال معلِّماً : « خيركم خيركم لأهله » ، والبعض منا يعلن أمام الأشهاد : أنا مستعدٌّ لأن أكون شرَّ الناس مع أهل بيتي!!!

* * *

قالا : الجوع يارسول الله!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر ، قال : « ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ » .

قالا : الجوع يارسول الله!!

قال : « أمّا أنا ، والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا » .

فقاموا معه ، فأتىٰ رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رأته المرأة قالت : مرحباً وأهلاً ، فقال لها رسول الله : « أين فلان ؟ » .

قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلىٰ رسول الله وصاحبيه ثم قال : الحمد الله ما أجد اليوم أكرم أضيافاً مني ، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المدية ، فقال له رسول الله ﷺ : « إياك والحلوب » ، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العِذْق ، فلما أن شبعوا ورووا ، قال رسول الله لأبي بكر وعمر : « والذي نفسي بيده لتُسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتىٰ أصابكم هذا النعيم »[1] .

* * *

---

(١) سنن الترمذي : رقمه (٢٣٧٠) .

إذا كان الرسول ﷺ القدوة ، وهو قائد الأمة ، وهو الذي عُرضت عليه الجبال أن تكون له ذهباً وفضة ، وهو الذي يستطيع بإشارة من أُصبعه الشريفة أن تُجبىٰ له الأموال . . . يخرج من بيته من شدَّة الجوع ! !

وإذا كان الأمر كذلك مع وزيريه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فما بال الناس اليوم ، لا تسمع منهم الشكر والحمد لله ، إنما تسمع التأفُّف والتضجُّر وعدم الرضا ، مع العلم أن الناس اليوم يعيشون في النعم كما لو أنهم يعيشون في الجنان ، ولكن المسألة كما قال الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيقُ ! !

* * *

أطعمه عيالك!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

جاء رجل إلىٰ النَّبي ﷺ فقال : هلكتُ ، قال : « فما شأنك ؟ » ، قال : وقعتُ علىٰ امرأتي في رمضان ، قال : « تستطيع عتق رقبة ؟ » ، قال : لا ، قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » ، قال : لا ، قال : « فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً ؟ » ، قال : لا .

قال : « اجلس » ، فجلس ، فأُتي النَّبي ﷺ بعَرَقٍ فيه تمر[1] فقال : « خذ هذا فتصدَّق به » ، قال : أعَلىٰ أفقر منّا ؟

فضحك النَّبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذُه ، قال : « أطعمه عيالك »[2] .

* * *

مما يُؤسف له أنك إذا قرأت غالبية كتب الفقه ونحو ذلك ، وجدت الحدود والعقوبات وما إلىٰ هنالك ، حتىٰ يخيَّل إليك أن الإسلام لا يحمل في طيَّاته إلا قضايا التحريم ونحو ذلك ، وهذا هو منطق التنطُّع والتشدُّد!!

بينما إذا عدت إلىٰ الأصول ، وخاصةً القرآن وسنة الرسول ﷺ

---

(١) العَرَق : المكتل الضخم .

(٢) صحيح مسلم : رقمه (١١١١) ، سنن الترمذي : رقمه (٧٢٤) ، سنن ابن ماجه : رقمه (١٦٧١) .

وجدت اليسر والوسطية والاعتدال ، وهذا من أنصع الأدلة علىٰ ما نقول ، لكن الكثيرين يقفون عند أقوال العلماء ولا يعودون إلىٰ أقوال الرسول والقرآن ، إلىٰ درجة أن الكثير من أقوالهم وقف حاجزاً منيعاً أمام العودة إلىٰ الأصول!!

والإسلام لا يحمل مهمة زجر الناس إلىٰ أن يوصلهم إلىٰ شفير جهنم ، أبداً ، فهو دين التسامح والعفو ، والله هو الغفور الرحيم ، والرسول هو الرؤوف الرحيم .

* * *

ما لك يا أبا أيوب ؟!

فرغ رسول الله ﷺ من فتح خيبر ، وعند عودته إلىٰ المدينة ، تزوَّج رسول الله من صفية بنت حيي بن أخطب ، وقد جمَّلتها ومشَّطتها وأصلحت أمرها أم سليم بنت ملحان ، وهي أم أنس بن مالك .

وضربت لرسول الله قبة حين دخل بها ، وقد بات أبو أيوب الأنصاري متوشحاً سيفه يحرس رسول الله ، ويطيف بالقبة ، حتىٰ أصبح رسول الله ، فلما رأىٰ مكانه قال : « ما لك يا أبا أيوب ؟ » .

قال : يارسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، قد قتل أبوها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني »[1] .

* * *

إنه درسٌ من دروس الفداء والتضحية ! !

فأبو أيوب رضي الله عنه شهر سلاحه وأحيا ليله وهو يطوف بالمكان الذي ضمَّ رسول الله مع عروسه صفيّة رضي الله عنها .

وسبب ذلك أن صفية كانت ابنة واحدٍ من زعماء اليهود ، فخاف أن يثأروا من الرسول لوالد صفية ولزوجها وقومها ، بل خاف منها أيضاً فهي مازالت حديثة عهد بالإسلام .

---

(١) السيرة النبوية للحافظ ابن كثير : ٢/ ٤٠٢ ، مستدرك الحاكم : ٤/ ٢٩ .

وفي ذلك من الخطورة العظمىٰ علىٰ حياة أبي أيوب ، لكن ذلك يهون أمام حياة رسول الله ﷺ .

لذلك لما رآه النَّبي ﷺ دعا له بأن يحفظه الله كما حفظه هو . . .

* * *

هنيئاً لك يا عبد الله!!

كان عبد الله المزني من المسلمين المستضعفين ، وكان قومه يضيّقون عليه ، حتىٰ تركوه في بجاد واحد[1] ، ليس عليه غيره ، فهب منهم إلىٰ رسول الله ، فلما كان قريباً منه شقَّ بجاده نصفين ، فائتزر بواحد ، واشتمل الآخر ، ثم أتىٰ رسول الله فقيل له ذو البجادين .

ويوم تبوك : قال عبد الله بن مسعود : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر ، فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر يدليانه إليه وهو يقول : « أدنيا إليَّ أخاكما » ، فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه ، قال : « اللهم إني أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه » .

وكان عبد الله بن مسعود يحدث بهذا الحديث ويقول : ليتني كنت صاحب الحفرة[2] .

* * *

إنها والله الأوسمة الرفيعة!!

رسول الله يقول عن هذا المسكين الفقير ، يقول لأبي بكر وعمر : « أدنيا إليَّ أخاكما » .

---

(١) أي : الكساء الغليظ الخشن .

(٢) الإصابة : ٤/ ٩٩ ، أسد الغابة : ٣/ ١٢٣ ، سيرة ابن هشام : ٤/ ١٧١ .

ورسول الله هو الذي نزل في قبره!!

ورسول الله يدعو الله له ، وهو يقول : « اللهم إني أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه »!!

إنها لعمري الرتب والأوسمة والمقامات العالية ، لذلك حُقَّ لابن مسعود أن يردد متمنياً : ليتني كنت صاحب الحفرة .

وإذا كان حال ابن مسعود ـ وهو ما هو من القدر والرفعة والمكانة السامية ـ فماذا نقول نحن في هذا الزمان ؟!

* * *

امرأة تجير رجلاً!!

عن أم سلمة رضي الله عنها أن زينب بنت رسول الله ﷺ أرسل إليها أبو العاص بن الربيع : أن خُذي لي أماناً من أبيك ، فخرجَتْ ، فأطلعت رأسها من باب حُجرتها والنَّبي ﷺ في الصبح يُصلِّي بالناس ، فقالت : أيها الناس ، إني زينب بنت رسول الله ، وإني قد أجرت أبا العاص .

فلما فرغ النَّبي ﷺ من الصلاة قال :

« أيها الناس ، إنه لا علم لي بهذا حتىٰ سمعتموه ، ألا وإنه يُجير علىٰ المسلمين أدناهم »[1] .

* * *

في الإسلام مساواة بين الذكور والإناث!!

لكن المشكلة أنه مرّت بعض عصور الانحطاط والتخلف ، فأخذ المسلمون بعض الأفكار عن الآخرين ، ومع تقادم الزمان أصبحت هذه الأفكار مسبَّقة علىٰ الأمور الإسلامية الصحيحة .

ومن هذه الأمور مشكلة إدلاء المرأة بصوتها في الأمور الاجتماعية والسياسية ، وبالتالي حقوقها في القضايا التي تتعلق بشؤونها .

---

(١) للتوسُّع يراجع : طبقات ابن سعد : ٨/ ٣٣ ، سنن البيهقي : ٧/ ١٨٥ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ٣٣٦ ، عيون الأثر : ٢/ ١٠٦ ، تاريخ الطبري : ١/ ٦٤١ ، واجة الصالحات : للمؤلف ٨٧ـ١١٤ .

وقد تشدَّد الكثيرون فحرموا المرأة من ذلك الحق ، وهم بذلك يخالفون البرنامج الذي وضعه القرآن وشرحه رسول الله ﷺ .

وفي هذه القصة دليل واضح علىٰ أن للمرأة الحق في أن تجير ـ حتىٰ المشرك ـ في بيتها دون الرجوع إلىٰ رأي والدها أو أخيها ، فلا تمايز بين الرجال والنساء ، إنما مساواة عملية حقيقية ، وما يفعله بعض المسلمين حتىٰ الآن تحت ذريعة (الغيرة ، والشريعة و. . . !!) فهي ليست إلا حجة عليهم ، لأن الإسلام بريء من ذلك براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام .

* * *

ذلك مالٌ رابح!!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كان أبو طلحة ـ زيد بن سهل ـ أكثر الأنصار مالاً من نخل ، وكانت أحبَّ أمواله إليه (بيرحاء) وكانت حديقة مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل فيها ويشرب من ماء فيها طيِّب ، فلما نزلت الآية الكريمة : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

فقام أبو طلحة إلىٰ رسول الله وقال : يارسول الله ، إن أحب أموالي إليَّ (بيرحاء) وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله تعالىٰ ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله : « بخٍ بخٍ ، ذلك مالٌ رابح ، قد سمعت ما قلت يا أبا طلحة ، وقد قبلناه منك ، ورددناه إليك ، وإني أرىٰ أن تجعلها في الأقربين » .

قال أبو طلحة : أفعل يارسول الله ، فقسمها في أقاربه وبني عمه ، وأعطىٰ لرسول الله ﷺ منها حصةً ، فوهب النَّبي ﷺ حصته إلىٰ شاعره حسان!![1] .

* * *

(١) صحيح البخاري : ٤/٩ ، صفة الصفوة لابن الجوزي : ١/١٩١ .

إنها الثقة المطلقة بما عند الله سبحانه وتعالىٰ ، ولا شيء يساوي ما وعد الله به العباد المتقين .

لذلك ما إن سمع هذا الصحابي الجليل ، وهو أبو طلحة ، كلام الله عن الإنفاق حتىٰ هرع إلىٰ الرسول يبايعه علىٰ أن يقبل منه أعزَّ ما عنده من الأموال ، وهو بستان فيه نبعة ماء ، ومئات الأشجار المثمرة ، علىٰ أن تكون في سبيل الله ! !

وقبل الرسول ذلك ، لكن طلب منه أن يوزعها علىٰ أقربائه ، من منطلق : (الأقربون أولىٰ بالمعروف) .

وفي ذلك درس بليغ في الخروج من أسر المال وحب الدنيا .

* * *

إنهم قتلة الأنبياء!!

عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قول الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ١١] .

وذلك أن عمرو بن أميّة الضميري حين انصرف من بئر معونة لقي رجلين كلابيّين معهما أمانٌ من رسول الله ﷺ فقتلهما ولم يعلم أن معهما أماناً من النَّبي ﷺ ففداهما رسول الله ﷺ ومضىٰ إلىٰ بني النضير ومعه أبو بكر وعمر وعليّ ، فتلقَّاه بنو النضير فقالوا : مرحباً يا أبا القاسم ، ماذا جئت له ، قال : « رجل من أصحابي قتل رجلين من كلاب معهما أمان مني طلب مني ديتهما ، فأريد أن تعينوني » .

قالوا : نعم والحبُّ لك والكرامة يا أبا القاسم ، اقعد حتىٰ نجمع لك ، فقعد رسول الله ﷺ تحت الحصن ، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعليّ بين يديه .

وقد تآمر بنو النضير أن يطرحوا عليه حجراً ، وقال بعض أهل العلم : بل ألقوه ، فأخذه جبرئيل عليه السلام ، وأخبر النبي بما تآمر الفسقة ، وما همُّوا به ، فقام رسول الله ﷺ واتَّبعه أبو بكر وعمر وعليّ رضي الله عنهم، فأنزل الله قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ . . . ﴾ الآية[1] [المائدة: ١١].

* * *

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم : ٢/ ٦٢٨ ، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد : ٢/ ٥٧ .

إنه الغدر والمكر والخداع والحيل والتآمر وما إلىٰ هنالك ، كل ذلك من صفات اليهود وقتلة الأنبياء ، وما أصدق القرآن في ذلك : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء : ١٥٥] ، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وكم نقضوا العهود والمواثيق ؟ وكم حرفوا من التوراة وكلام الله ؟ وكم طلبوا طلبات تعجيزية : كرؤية الله في الدنيا! ونحو ذلك[1] .

* * *

(١) للتوسّع يراجع كتاب : الإرهاب الصهيوني ، للمؤلف : ٥٩ـ٩٧ .

شوق الحبيب إلىٰ حبيبه!!

عن خالد بن سلمة المخزومي رضي الله عنه قال :

لما أصيب زيد بن حارثة انطلق رسول الله ﷺ إلىٰ منزله ، فلما رأته ابنته جهشت في وجهه ، فانتحب رسول الله ﷺ .

فقال له بعض أصحابه : ما هذا يارسول الله ؟

قال : « هذا شوق الحبيب إلىٰ حبيبه »[1] .

* * *

علَّمنا رسول الله ﷺ أن نمنهج كل أحوالنا بمنهج الشريعة .

فإذا كانت المناسبة مناسبة فرح ، فعلّمنا الرسول أن نفرح الفرح اللا استكباري كفرح قارون وفرعون ، إنما أن نفرح الفرح الواعي والذي لا يصل فيه الإنسان إلىٰ حدِّ الاستعلاء والمباهاة .

وإذا كانت المسألة تتعلق بالأحزان ، فعلينا أن ننضبط بضوابط الشريعة ، فلا اعتراض علىٰ حكم الله ، ولا شق ثياب ، ولا نتف شعر ، ولا . . . !! إنما لا بأس أن تدمع العين ، ويحزن القلب ، وهذا ما قرره الرسول ﷺ ، وذلك عند موت ابنه إبراهيم ، فقال : « إن العين لتدمع ،

---

(١) الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي : ١/ ٢٢٤ ، طبقات ابن سعد : ٣/ ٤٨٠ .

وإن القلب ليحزن ، وإنّا علىٰ فراقك يا إبراهيم لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا : إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وهذا المنهج الوسط المعتدل يجعل الإنسان في توازن نفسي دائم ، وكما أخبر الرسول :

« عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، إن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له » .

* * *

لا تثريب عليكم اليوم!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

حين سار رسول الله ﷺ إلىٰ مكة يستفتحها وفتح الله عليهم ، قال : فما قُتل يومئذٍ إلا أربعة ، قال : ثم دخل صناديد قريش من المشركين الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم ، ثم طاف بالبيت وصلىٰ ركعتين ، ثم أتىٰ الكعبة فأخذ بعضادتي الباب ، فقال : « ما تقولون وما تظنون ؟ » قالوا : نقول : ابن أخ وابن عم حليم رحيم ـ قالها ثلاثاً ـ .

فقال رسول الله ﷺ : « أقول كما قال يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] » .

قال : فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام[1] .

* * *

ليست البطولة قتال الأعداء فحسب ، إنما البطولة هي أن يضبط الإنسان غيظه ويطلق كلمات العفو والتسامح والمغفرة لكل من أساء إليه ! !

وفي فتح مكة دروس كثيرة ، لكن أجملها هو ذلكم المشهد العجيب :

---

(١) صحيح مسلم : ٣/ ١٤٠٧ ، دلائل البيهقي : ٥/ ٥٧ .

صناديد قريش ومن لفَّ لفَّهم تجمَّعوا اليوم - يوم فتح مكة - أمام البيت الحرام ، وذلك بعد سنوات من تعذيب رسول الله ﷺ وصحبه ، وبعد أن طردوهم من بلدهم مكة ، والآن ينتظرون قرار الفاتح ، وكلهم يدور في خلده أن الرسول سيشير إلىٰ السيوف التي يحملها الشباب لتدك تلك الرؤوس وتجعلها تتدحرج علىٰ الأرض!!

لكن نبي الرحمة ﷺ يعفو عنهم ويطلقها في الهواء الطلق ، ليعلِّم البشرية وإلىٰ قيام الساعة : اذهبوا فأنتم الطلقاء!!

* * *

إمامٌ جُنُب!!

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال :

احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلتُ أن أهلك فتيمَّمتُ ثم صلَّيتُ بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : « يا عمرو ، صلَّيت بأصحابك وأنت جنب ؟! » .

فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله جل ثناؤه يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] .

فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً[1] .

* * *

من رحمة الله بخلقه أنه أرسل لهم الرسل ، واحداً تلو الآخر ، ليدلَّهم علىٰ الطريق القويم ، ويعيدهم إلىٰ نور الهداية ، وهذا دليل علىٰ أن الله سبحانه لم يخلق الخلق ليملأ بهم نار جهنم!!

أبداً ، إنما كلما أخطؤوا في جنب الله ، فتح لهم أبواب الرحمة والغفران ، لذلك جعل لهم مواسم الخير والبركات كحمّامات بها يتطهرون ، فمن النوافل الكثيرة إلىٰ الصلوات المفروضة ، إلىٰ شهر الصيام وفتح أبواب الجنان وإغلاق أبواب النيران ، إلىٰ موسم حج بيته ، إلىٰ شُعب الإيمان وأبواب الصدقات ، إلىٰ الشفاعات وخاصة شفاعة

---

(١) دلائل البيهقي : ٤/ ٤٠٣ .

الوالدين والصالحين والأنبياء وعلىٰ رأسهم شفاعة رسول الله ﷺ ، وما إلىٰ هنالك .

ولذلك فهذه اللقطة الرائعة مما جرىٰ مع الصحابي عمرو رضي الله عنه ليست إلا من باب أن ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

* * *

يارسول الله : اعدل!!

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة[1] - وهو رجل من بني تميم - فقال : يارسول الله اعدل!!

فقال : « ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » .

فقال عمر : يارسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه ، فقال له : « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[2] يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، آيتُهم رجل أسود إحدىٰ عضديه مثلُ ثدي المرأة أو مثل البَضْعة تدردر[3] ، ويخرجون علىٰ حين فُرقة من الناس » .

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأُتي به حتىٰ نظرتُ إليه علىٰ نعت النَّبي ﷺ الذي نعته[4] .

---

(١) واسمه : حرقوص بن زهير .

(٢) جمع ترقوة ، وهي العظم الواصل بين العنق والكتف .

(٣) أي ترجرج ، تجيء وتذهب .

(٤) سنن النسائي : ٥/٨٧ ، سنن أبي داود : رقمه (٤٧٦٤) ، سنن ابن ماجه : (١٦٩) .

درسٌ من دروس العفو والتسامح الذي كان يحمله الرسول ﷺ ، وفيه إشارة إلىٰ إحدىٰ نبوءات النَّبي ﷺ ، حيث ذكر للصحابة عن أمور ستحدث في المستقبل ، ومنها قتال المسلمين للخوارج في خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

* * *

مع خُلقِ رسول الله

عن يزيد بن بابنوس قال : دخلت علىٰ عائشة رضي الله عنها فقلت : يا أم المؤمنين! ما كان خُلُقُ رسول الله ﷺ ؟

قالت : كان خُدلق رسول الله القرآن ، ثم قالت : أتقرؤون سورة المؤمنين ؟ قلنا : نعم ، قالت : اقرأها ، فقرأت : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون : ١-٩]، فقالت : هكذا كان خُلُق رسول الله ﷺ[1] .

* * *

إذا كان القرآن كوناً صامتاً ، فإن رسول الله ﷺ هو خير من يفسِّر القرآن تفسيراً سلوكياً عملياً ، ولذلك أحسنت السيدة عائشة عندما وصفت خُلُق رسول الله وصفاً دقيقاً ، فحددت القضية بما ورد في القرآن من أخلاقيات ، وضربت علىٰ ذلك مثالاً هو أوائل سورة (المؤمنون) .

أجل!!

ففيها وصف رائع لبعض أخلاق المؤمنين ، وهي : المحافظة علىٰ

---

(١) مستدرك الحاكم : ٢/ ٦١٣ ، مسند أحمد : ٦/ ٥٤ .

الصلاة والخشوع فيها ، والإعراض عن مجالس اللغو ، وأداء الزكاة علىٰ وجهها الصحيح ، والمحافظة علىٰ الأعراض ضمن دائرة الحلال ، والبعد عن كل شبهة أو حرام ، وأداء الأمانة والوفاء بالعهد ، والحفاظ علىٰ الأركان ، كل ذلك من صفات ورثة الفردوس عند الله سبحانه وتعالىٰ .

إنها باقة جميلة من الأخلاق الفاضلة ، وليت المسلمين تحلَّوا بأمثال ذلك ، كي يكونوا القدوة والأسوة للشعوب الأخرىٰ ، ولن تعود الأمجاد بالسيوف ، إنما تعود بالأخلاق الحميدة والسيرة الفاضلة ، وصدق الله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

* * *

استغاثة نبوية!!

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلىٰ المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمئة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله القبلة ، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض » .

فما زال يهتف بربه مادّاً يديه ، مستقبل القبلة ، حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فألقاه علىٰ منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] .

فأمدَّه الله بالملائكة[1] .

* * *

في السنة الثانية للهجرة ، وصل إلىٰ المسلمين في المدينة المنورة خبرٌ أن هناك قافلة تجارية لمشركي مكة في طريقها من بلاد الشام إلىٰ مكة

---

(١) صحيح مسلم : رقمه (١٧٦٣) ، مسند أحمد : ١/ ٣٣ ، دلائل النبوة للبيهقي : ٣/ ١٣٧ .

مروراً بالمدينة ، فخرج بعض المسلمين بنيّة مصادرة تلكم الصفقة التجارية ، ولكن الله أراد أمراً آخر!!

حوَّل أبو سفيان مسار القافلة ووصل سالماً إلىٰ مكة ، ونادىٰ بالناس أن يهبُّوا للدفاع عن أموالهم ومراكزهم ، وبالفعل وصل المشركون إلىٰ منطقة بدر فالتقوا بالمسلمين ، وكانت معركة بدر ، لكن لم يكن هناك تكافؤ في العدد ولا العُدد ، فما كان من المصطفىٰ ﷺ إلا الاستغاثة والدعاء والإلحاح وتبيان فقر وضعف المسلمين ، وشاء الله أن يستجيب فكان النصر بإذن الله تعالىٰ .

* * *

إنه لمن أهل الجنة!!

روىٰ ابن إسحاق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

حدِّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يُصَلِّ قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ قال : أُصيرم بن عبد الأشهل ، فإذا سألوه : وما كان شأنه ؟ قال : كان يأبىٰ الإسلام علىٰ قومه ، فلما كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلىٰ أُحُدٍ بدا له في الإسلام ، فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فغدا حتىٰ دخل في عُرض الناس[1] ، فقاتل حتىٰ أثبتته الجراحة ، قال : فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر هذا الحديث ، فسألوه : ما جاء به ؟ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أَحَدَبٌ[2] علىٰ قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسْلمتُ ، ثم أخذتُ سيفي ، فغدوت مع رسول الله ، ثم قاتلت حتىٰ أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ، فقال : « إنه لمن أهل الجنة »[3] .

* * *

---

(١) أي : مُعظَمهم .

(٢) حدب عليه : عطف وحنا وأشفق .

(٣) سيرة ابن هشام : ٣/ ٣٩ ، مسند أحمد : ٥/ ٤٢٨ .

أجل!

إنه الصدق مع الله ، والإخلاص لله ، ذلك لأنه سبحانه غني عن أعمال العباد كلهم ، فهو لا ينظر إلىٰ كمية الأعمال وظواهرها ، إنما يتقبَّل ما كان منها خالصاً لوجهه الكريم ولو كان قليلاً ، ولذلك ورد في صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : أتىٰ النبي رجل مقنَّع بالحديد ، فقال : يارسول الله ، أقاتل وأسلم ، قال : « أسلم ثم قاتل » ، فأسلم ثم قاتل فقُتل ، فقال الرسول : « عمل قليلاً وأُجِرَ كثيراً »[1] .

* * *

(١) صحيح البخاري : ٤/ ٢٤ ، صحيح مسلم : رقمه (١٤٤) .

حبٌّ حتىٰ آخر لحظة!!

قال ابن إسحاق : . . . . . ـ بعد انتهاء غزوة أُحد ـ :

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ، أفي الأحياء هو أم في الأموات » .

فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يارسول الله ما فعل سعد ، فنظر فوجده جريحاً في القتلىٰ وبه رمق ، قال : فقلت له : إن رسول الله قد أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات .

قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ما جزىٰ نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلىٰ نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتىٰ مات ، قال : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

وفي رواية أخرىٰ : فلما أخبرت رسول الله بذلك ، استقبل القبلة رافعاً يديه يقول : « اللهم الْقَ سعد بن الربيع وأنت عنه راضٍ »[1] .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام : ٣/ ٤٦ ، وللتوسع يراجع : تاريخ الطبري : ٢/ ٥٨٧ ، دلائل البيهقي : ٣/ ٢٨٥ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ٢٠١ ، عيون الأثر : ٢/ ١٩ ، سيرة سيّد الأنام ، للمؤلف : ٤/ ٩٧ .

إنه الحب المتبادل بين الصحابة الكرام وبين رسول الله ﷺ ، وهذا ليس كلاماً للاستهلاك ، إنما ترجموا ذلك إلىٰ أفعال ، لذلك سطر التاريخ صفحات رائعة في ذلك ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعلنا من السائرين علىٰ هذا النهج القويم .

* * *

مع صاحب القلب الكبير!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

وقف رسول الله ﷺ علىٰ حمزة بن عبد المطلب حين استُشهد ـ يوم أُحد ـ فنظر إلىٰ شيء لم ينظر إليه شيء قط كان أوجع لقلبه منه ، نظر إليه وقد مُثِّلَ به ، فقال ﷺ : « رحمة الله عليك ، فإنك كنت ـ ما علمت ـ فعولاً للخيرات ، وصولاً للرحم ، ولولا حزنُ من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتىٰ تُحشر من أفواه شتىٰ ، أما والله مع ذلك لأمثِّلنَّ بسبعين منهم مكانك » . فنزل جبريل ، والنَّبي ﷺ واقف بعد بخواتم سورة النحل :

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

[النحل : ١٢٦ـ١٢٨] .

فصبر النَّبي ﷺ ، وأمسك عما أراد[1] .

* * *

سقط أحد مناصري رسول الله ودعوته في ساحة المعركة شهيداً ، إنه أسد الله ورسوله حمزة عم رسول الله ﷺ ، فحزن عليه النبيُّ وصرَّح بأنه

---

(١) للحديث روايات عديدة : سنن الترمذي : رقمه (٥١٣٦) ، المعجم الكبير للطبراني : رقمه (٢٩٣٨) ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٧/ ٣٧١ .

سيثأر له وذلك بأن يقتل مقابله سبعين رجلاً من المشركين!!

لكن الوحي السماوي لن يدع النبيَّ يفعل مثل ذلك ، فهناك قوانين ربانية ثابتة سواء كان الشهيد هو عم رسول الله أو أي إنسان آخر ، فلا يجوز إلا أن يعاقب بمثل ما عوقب به ، بل إن الصبر وضبط النفس والابتعاد عن الثأر أفضل بكثير ، والله لن يضيع أجر المحسنين ، فالتزم الرسولﷺ بما أوحي إليه ، وترك ما كان قد نوىٰ فعله ، فصلىٰ الله عليه وسلم .

* * *

إلىٰ الشهادة!!

قال ابن إسحاق : حدثني والدي عن أشياخ من بني سلمة قالوا :

كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجَّه إلىٰ أُحُدٍ ، قال له بنوه : إن الله عز وجل قد جعل لك رخصةً فلو قعَدْتَ فنحن نكفيك فقد وضع الله عنك الجهاد .

فأتىٰ عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ ، فقال له : يارسول الله! إن بنيَّ هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ، ووالله إني لأرجو أن أستشهد معك فأطأ بعرجتي هذه في الجنة .

فقال له رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد » .

وقال لبنيه : « وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة » ، فخرج مع رسول الله ﷺ فقُتل يوم أُحد شهيداً[1] .

* * *

إنها لحظات الصدق مع الله سبحانه وتعالىٰ .

وهنا يبرز الفرق بين القوَّالين والفعَّالين ، لأن المسألة ثمنها هنا التضحية بأغلىٰ ما يملكه الإنسان ، ألا وهي الروح .

---

(١) سيرة ابن هشام : ٣/ ٣٤ ، دلائل النبوة للبيهقي : ٣/ ٢٤٦ .

لكن المؤمن ـ وهو الذي قرأ في القرآن ما أعدَّه الله للشهداء : من نعيم مقيم ، ورضوان من الله أكبر ـ يبقىٰ طيلة حياته وهو يدندن حول أمنية نيل الشهادة في سبيل الله تعالىٰ ، حتىٰ لو كان كبيراً في السنِّ ، أو أعرج ، أو ما إلىٰ هنالك .

وهكذا فعندما صدق ابن الجموح مع الله صدقه الله ، فأعطاه هذه الرتبة العالية وهي الشهادة في سبيله سبحانه وتعالىٰ ، فرضي الله عنه وأرضاه .

* * *

يا عليّ : ألك حاجة ؟!

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

خطبتُ فاطمة إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقالت لي مولاة لي : هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلىٰ رسول الله ؟ قلت : لا ، قالت : فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك؟ فقلت : وعندي شيء أتزوج به ؟!

فقالت : إنك إن جئت رسول الله زوَّجك ، فوالله مازالت ترجِّيني حتىٰ دخلت علىٰ رسول الله ﷺ ، وكان لرسول الله جلالة وهيبة ، فلما قعدت بين يديه أُفحِمْتُ والله ، وما استطعتُ أن أتكلَّم .

فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ » فسكتُّ ، فقال : « ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ » فسكتُّ ، فقال : « لعلَّك جئت تخطبُ فاطمة ؟ » ، فقلت : نعم ، فقال : « وهل عندك من شيء تستحلُّها به ؟ » فقلت : لا والله يارسول الله . فقال : « ما فَعَلَتْ دِرْعٌ سلَّحْتُكَها ؟ » ، فقلت : عندي ، فقال : « قد زوَّجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلَّها بها » ، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ ! ![1] .

* * *

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٣٤٦ ، دلائل النبوة للبيهقي : ٣/ ١٦٠ .

صراحة تامة من سيدنا رسول الله ، ومن أجل ابنته المحبَّبة إلىٰ قلبه فاطمة رضي الله عنها .

لكن وهو الذي خبر ابن عمه عليّ رضي الله عنه بما يحمل من أخلاق وعلم وتقوىٰ وشجاعة وما إلىٰ هنالك ، لن يجد أفضل منه زوجاً لابنته رضي الله عنهم .

لذلك فاتحه بقوله : « لعلك جئت تخطب فاطمة » وفي هذا درس كبير لأولياء الفتيات أن ينطلقوا ليختاروا لبناتهم من الشباب من يحصنهم ويحترمهم ، وليس في ذلك أقل عيب ، لكنها العادات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، حتىٰ استطاعت أن تتغلب علىٰ الأصول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

معاً في حفر الخندق!!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الخندق ، وإذا المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق في غداةٍ باردةٍ ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأىٰ ما بهم من النَّصَب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا علىٰ الجهاد ما بقينا أبدا

وراح ينقل التراب ، حتىٰ إذا واراىٰ التراب بطنه ، سمعه الصحابة ينشد :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلن سكينةً علينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الألىٰ قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا[1]

* * *

القدوة والأسوة لا تكون برفع الشعارات البرَّاقة ، أو بإلقاء الخطب الطنانة وما إلىٰ هنالك ، إنما تكون بالعمل أمام الأتباع .

---

(١) للتوسع يراجع : فتح الباري : ٦/ ٤٦ ، البداية والنهاية : ٤/ ٩٥ .

ولذلك كان الرسول ﷺ فعَّالاً لا قوَّالاً ، وهنا في حفر الخندق لم يعط الرسول الأوامر إلىٰ الجنود والأتباع ، ويعود ليستريح في قصره أو مزرعته و . . . !!

إنما كان يحمل معهم التراب والحجارة! كان يحفر معهم! كان يشاركهم في الصعاب ، وفي هذا حافز قوي للأتباع .

والحقيقة أن ذلك لم يكن في الخندق فقط ، بل في كل أموره صلوات الله عليه ، ولذلك لا أرىٰ وصفاً رائعاً لهذه العلاقة بين الرسول ومن حوله أفضل من قوله تعالىٰ :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، صلىٰ الله عليه وسلم .

* * *

الثقة المطلقة بالله!!

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول ، قال : فشكوا ذلك إلىٰ النَّبي ﷺ ، قال : فلما رآها أخذ المعول وقال :

« باسم الله » ، وضرب ضربةً ، فكسر ثلثها ، فقال : « الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله » ، ثم ضرب الثانية ، فقطع ثلثاً آخر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض » ، ثم ضرب الثالثة ، فقال : « باسم الله » ، فقطع بقية الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة »[1] .

* * *

قال العارفون بالله : الثقة سواد عين التوكُّل ، ونقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم .

قال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ٢٢] .

وعندما يصل العبد المؤمن إلىٰ درجة الثقة المطلقة بما يأتي من

---

(١) دلائل البيهقي : ٣/ ٤٢١ ، فتح الباري : ٧/ ٣٩٥ ، سيرة ابن هشام : ٣/ ١٧٣ .

عند الله ، يصغر أمام عينيه كل شيء ، لأنه يوقن أن الله كافيه وكافله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ـ١٧٤] .

فكيف إذا كان الحال : أن صخرة في الخندق هل تقف أمام أعظم واثق بالله وهو رسول الله ؟!

* * *

فشربوا... وتوضَّؤوا!!

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه ، فقال : « ما لكم ؟ » .

قالوا : يارسول الله! ليس عندنا ماءٌ نشرب ، ولا ماءٌ نتوضأ ، إلا ما في ركوتك .

قال : فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يثور[1] من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا ، وتوضأنا .

قال : قلت : كم كنتم يومئذ ؟

قال : لو كنّا مئة ألفٍ كفانا ، كنّا خمس عشرة مئة!![2] .

* * *

وهذه من المعجزات التي أعطاها الله لرسوله محمد ﷺ ، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٠] .

ذلك أنه سبحانه هو الذي سحب من النار العظيمة خاصيَّة الاحتراق عندما ألقوا فيها خليله إبراهيم ، فلم تعد باستطاعتها إحراقه!

وهو سبحانه الذي أعطىٰ العصا المصنوعة من الخشب اليابس ،

---

(١) أي : يفور .

(٢) صحيح البخاري : رقمه (٤١٥٢) .

أعطاها خاصيَّة أكل الثعابين والحبال وما إلىٰ هنالك ، وذلك عندما تحدىٰ سحرة فرعون نبيَّ الله موسىٰ عليه السلام!

وهكذا كان الحال مع خاتم النبيين ، حيث بارك الله له بكمية قليلة من المياه ، فشرب قرابة (١٥٠٠) ألف وخمسمئة من المسلمين ، وتوضؤوا ، وزاد الماء ، وهذا من كرم الله ونعمه علىٰ أصفيائه وأنبيائه وأوليائه .

* * *

فرق كبير!!

عن زيد بن خالد قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فأصابنا مطر ذات ليلةٍ فصلَّىٰ بنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل علينا ، فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » ، قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : قال الله عز وجل : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فأما من قال : مُطرنا برحمة الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي »[1] .

* * *

في القرآن الكريم تركيز كبير علىٰ مسائل العقيدة ، وخاصة مسألة التوحيد والشرك ، ومن ذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ذلك لأن للشرك أنواعاً كثيرة ، وغالبيتها لا ينتبه الناس لها ولا يعيرونها أي نوع من الاهتمام ، فإذا مرض إنسان ما ، ثم ذهب إلىٰ الطبيب فعالجه ، ثم تماثل للشفاء ، تسمع علىٰ ألسنة الكثيرين ، وخاصة من أقارب المريض تصريحات تبطن في طيَّاتها الشرك بالله ، مثل : لولا الطبيب فلان لما تماثل المريض الفلاني للشفاء!!

---

(١) صحيح البخاري : رقمه (٤١٤٧) ، صحيح مسلم : (١٢٥) .

علماً أن القرآن يؤكد علىٰ أن الشفاء بيد الله وحده : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠] ، وما الطبيب إلا وسيلة سخرها الله لخدمة عباده .

وهكذا في حال نزول المطر ، أيضاً يتحدث البعض عن تحليلات وتبريرات ، ولا ينتبه الناس إلىٰ خطورة التلفُّظ بأمثال ذلك!!

* * *

ساعة العسرة!!

عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، في قول الله عز وجل :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧] .

قال : خرجوا في غزوة تبوك : الرجلان والثلاثة علىٰ بعير ، وخرجوا في حرٍّ شديد ، فأصابهم يوماً عطشٌ ، حتىٰ جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ، ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عُسرة من الماء ، وعسرة من النفقة ، وعسرة من الظهير!![1] .

* * *

هذه التضحيات في سبيل نشر دين الله سبحانه ، محال أن تضيع عند الله أكرم الأكرمين ، لذلك عندما تحمَّل الرعيل الأول هذه المشقات مجتمعة : المسافة الطويلة وفي الجو الصحراوي الحار ، مع قلَّة الدواب للركوب ، مع شدَّة العطش ، مع قلة الطعام!!

والقوم يتحملون ويصبرون ، فماذا كان الجزاء من الله ؟!

إنها التوبة من الله علىٰ الجميع ، قال الله تعالىٰ : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٨/ ٢٧٨ ، دلائل البيهقي : ٥/ ٢٢٧ .

﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١١٧] .

وهل أجمل وأفضل من أن يتوب الله سبحانه علىٰ عبده ، فيغفر له كل ما تقدَّم من ذنبه ؟!

إن نتيجة توبة الله علىٰ العبد ، تعني أنه سيدخله الجنة ، ويعطيه وسام رضوانه عليه ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة : ٧٢] .

* * *

الفهم الرائع للقرآن!!

عن جابر بن عبد الله قال : أخبرتني أم مبشّر أنها سمعت النَّبي ﷺ يقول عند حفصة :

« لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحدٌ » .

قالت : بلىٰ يارسول الله ، فانتهرها .

فقالت حفصة : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] .

فقال النَّبي ﷺ : « قد قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] »[1] .

* * *

كما هو معروف ، فخير ما يفسر القرآن القرآن ذاته ، أي أن كثيراً من الآيات القرآنية جاءت تفسيراً لآيات أخرىٰ من القرآن ، ثم إن أفضل من يفسِّر القرآن بعد ذلك هو من أنزل الله عليه القرآن ، وهو المصطفىٰ ﷺ .

لذلك عندما قرر النَّبي ﷺ أنه لن يدخل أحدٌ من الذين بايعوه تحت الشجرة ، لن يدخل النار يوم القيامة ، اعترضت السيدة حفصة رضي الله عنها علىٰ ذلك واحتجت بآية من القرآن الكريم تتحدث عن حتمية دخول

---

(١) صحيح مسلم : رقمه (١٦٣) ، دلائل البيهقي : ٤/ ١٤٣ .

كل الناس إلىٰ نار جهنم ، عندئذٍ أكمل الرسول الآية ، وفي تتمَّتها حلٌّ للمشكلة ، أي هناك استثناء بحيث ما إن يدخل البعض النار حتىٰ يأتي قرار الله بإخراجهم .

وفي القرآن الكريم تفسير مماثل لقول الرسول ﷺ :

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .

* * *

الرسول يستمع إلىٰ مشورة المرأة!!

عن عروة ، عن المسوّر ، ومروان في قصة الحديبية ، قالا :

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس قوموا فانحروا ، وحلوا » .

فوالله ما قام أحدٌ من الناس ، فقام رسول الله ﷺ فدخل علىٰ أم سلمة ، فقال : « يا أم سلمة! ألا ترين إلىٰ الناس ، أي آمرهم بالأمر لا يفعلونه » .

فقالت : يارسول الله! لا تلُمهم ، فإن الناس قد دخلهم أمرٌ عظيمٌ مما رأوك حملت علىٰ نفسك في الصلح ، ورجعتك ولم يفتح عليك ، فاخرج يارسول الله ، ولا تكلِّم أحداً من الناس ، حتىٰ تأتي هديك فتَنْحَر ، وتحلّ ، فإن الناس إذا رأوك فعلت ذلك ، فعلوا كالذي فعلت .

فخرج رسول الله ﷺ من عندها ، فلم يكلِّم أحداً ، حتىٰ أتىٰ هديه ، فنحر ، وحلق ، فلما رأىٰ الناس رسول الله ﷺ قد فعل ذلك ، قاموا ففعلوا ، ونحروا ، وحلق بعضهم ، وقصَّر بعضهم . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر للمحلقين » ، فقيل : يارسول الله! والمقصِّرين ، فقال : « اللهم اغفر للمحلقين » ثلاثاً ، قيل : يارسول الله ، وللمقصرين ، فقال : « وللمقصرين »[1] .

---

(١) فتح الباري : ٧/ ٤٥٣ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٤/ ١٦٩ .

درسٌ عظيمٌ من رسول الله ﷺ إلىٰ الناس جميعاً ، وحتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها ، وملخَّصه أن علىٰ الرجل أن يشاور زوجته أو أمه أو ابنته ، وأن يستفيد من آراء الآخرين ، فلا يدري الإنسان أين تكمن الحقيقة ، وبالتالي لا يوجد أحدٌ يملك الحقيقة بشكل مطلق ، والحكمة ضالَّة المؤمن ، أنىٰ وجدها التقطها ، لكن مشكلتنا ـ كشرقيين ـ أننا ورثنا عادات من الجاهلية الأولىٰ ما أنزل الله بها من سلطان ، والطامة الكبرىٰ أننا حسبناها من الدين ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ!!

* * *

إنها مسمومة!!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

إن يهودية أهدَتْ إلىٰ رسول الله ﷺ إمَّا شاةً مسمومةً ، وإما بَرَقاً مسموطاً مسموماً ، فلما قربته إليه وبسط القوم أيديهم ، قال :

« أمسكوا ، فإن عُضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » فدعا صاحبتها ، فقال : « أسممت هذا ؟ » .

قالت : نعم .

قال : « ما حملك عليه ؟ » .

قالت : أحببتُ إن كنت كاذباً أن أريح الناس منك ، وإن كنت رسولاً أنك ستطلع عليه ، فلم يعاقبها!![1] .

* * *

صدق الله تعالىٰ بوصفه لرسوله ﷺ بأنه الرحمة المهداة ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقوله أيضاً :

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٤/٢٠٨ ، دلائل البيهقي : ٤/٢٥٩ .

وفي السيرة الطاهرة مواقف رائعة تدلُّ علىٰ مدىٰ رحمته صلوات الله عليه ، وهذا دليلٌ حيّ ، فالمرأة اليهودية تقدِّم له كتف شاة مشوي وقد دسَّت به السم ، تريد قتله ، ومع ذلك ، لما أخفقت محاولتها ، استدعاها وناقشها وأقام عليها الحجَّة ثم أطلق سراحها!!!

* * *

لا للتشدد!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

حين (قفل= رجع) رسول الله ﷺ من غزوة خيبر ، سار ليلة حتىٰ إذا أدركنا الكرىٰ عرّسَ[1] ، وقال لبلال : « اكلأ لنا الليل »[2] .

قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلىٰ راحلته ، فلم يستيقظ النَّبي ﷺ ولا بلال ولا أحدٌ من أصحابه حتىٰ ضربتهم الشمس .

فكان رسول الله ﷺ أوَّلهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله ، فقال :

« يا بلال! » ، قال : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يارسول الله ، قال : فاقتادوا رواحلهم شيئاً ، ثم توضأ النَّبي ﷺ وأمر بلالاً فأقام لهم الصلاة ، وصلىٰ لهم الصبح ، فلما قضىٰ الصلاة ، قال :

« من نسي صلاةً فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالىٰ قال : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه : ١٤] »[3] .

* * *

بعد البحث والتدقيق يتبيَّن أن المتشددين المتنطعين هم الجاهلون بالقرآن والسنة والسيرة ، ذلك لأن الإنسان كلما تعمَّق في فهم النصوص

---

(١) أي : حتىٰ إذا أصابنا النعاس والتعب ، جلسنا لنستريح .

(٢) أي : ارقبه واحفظه واحرسه .

(٣) صحيح مسلم : رقمه (٣٠٩) ، دلائل البيهقي : ٤/ ٢٧٣ .

يرىٰ أمامه خطَّ التيسير والانفتاح علىٰ كل حاجات الإنسان ، ذلك لأن الدين ما هو إلا دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

وهذه صورة من صور السيرة الطاهرة ، حيث نام الجميع وعلىٰ رأسهم رسول الله ، مما أدىٰ إلىٰ فوات وقت فريضة الصبح ، فما كان من نبيِّ الرحمة والتيسير إلا أن جمع الناس وصلَّىٰ بهم صلاة الصبح بعد شروق الشمس!!

* * *

المساواة!!

قال ابن إسحاق : حدثنا والدي قال : حدثنا بعض آل جبير بن مطعم :

أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة ، أمر بلالاً فَعَلا الكعبة علىٰ ظهرها فأذَّن عليها بالصلاة .

فقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يرىٰ هذا الأسود علىٰ ظهر الكعبة .

وفي رواية أخرىٰ : فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترىٰ إلىٰ هذا العبد أين صعد ؟! فقال : دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره[1] .

* * *

إن أفضل ميزان هو ميزان الشريعة الإسلامية ، والذي لا يفضِّل الإنسان للونه أو نسبه أو حسبه أو ما يملكه من أموال وما إلىٰ هنالك!!

إنما القضية بما يقدِّمه المرء من خيرات لنفسه وللآخرين ، وهذا ما يطلق عليه القرآن مصطلح التقوىٰ :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ولذلك قرَّب رسول الله ﷺ سلمان ، وهو عبدٌ منحدر من بلاد

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢/ ٢٧ ، دلائل النبوة للبيهقي : ٥/ ٧٨ .

فارس ، وجعله من أقرب الناس إليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « سلمان منّا آل البيت » .

وفي رواية : « لا تقولوا سلمان الفارسي ، إنما قولوا : سلمان المحمدي » ، بينما عمّ النَّبي ﷺ أبو لهب ، أنزل الله فيه سورة في القرآن الكريم ، تتلىٰ إلىٰ يوم يبعثون :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد : ١ـ٣] .

لأن المسألة ليست إلا بشعار : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، ورحم الله القائل :

كانت مودّة (سلمانٍ) لهم رحماً ولم تكن بين (نوح) وابنه رَحِمُ

* * *

لو سَرَقَتْ... لقَطَعْتُ يَدَها!!

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

إن قريشاً أهمَّهم شأنُ المرأة التي سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلِّم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حبُّ رسول الله ، فكلَّمه فيها أسامة بن زيد ، فتلوَّن وجه رسول الله ، فقال : « أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله؟» .

فقال له أسامة : استغفر الله لي يارسول الله ، فلما كان العشيُّ قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنىٰ علىٰ الله تعالىٰ بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقُطعت يدها[1] .

* * *

نعم ، إنها الشريعة الإسلامية التي ساوت بين الناس جميعاً ، صغيرهم وكبيرهم ، غنيِّهم وفقيرهم ، شريفهم ووضيعهم ، فالمفاضلة بين الناس إنما تكون بالتقوىٰ فقط ، يقول الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

---

(١) فتح الباري : ٨/ ٢٥ ، دلائل البيهقي : ٥/ ٨٨ .

وأيضاً لا محاباة في شرع الله ولا مراعاة في حد من حدود الله لأي شخص كان مهما علا نسبه ، وارتفعت مكانته :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء : ١٣٥] .

* * *

رضينا يارسول الله!!

بعد فتح مكة حدثت غزوة حنين وكان نصيب المسلمين من الغنائم الشيء الكثير ، قال أنس رضي الله عنه : فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المئة من الإبل ، ويعطي الرجل المئة ، قال : فتحدثت الأنصار بينهم : أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لا يقاتله فلا يعطيه ؟ قال : ورُفع الحديثُ إلىٰ رسول الله ، ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ، وقال : « لا يدخل عليَّ إلا أنصاري » .

قال : فدخلنا القبة ، حتىٰ ملأنا القبة ، قال : « يا معشر الأنصار ـ ثلاث مرات ـ ما حديثٌ أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يارسول الله ؟

قال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبوا برسول الله حتىٰ تُدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يارسول الله ، فقال : « لو أخذ الناس شِعْباً ، وأخذت الأنصار شِعْباً أخذتُ شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » ، فبكىٰ القوم حتىٰ أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله قسماً ، ثم انصرف وتفرقوا[1] .

* * *

---

(١) صحيح مسلم : ٢/٧٣٣ ، سيرة ابن هشام : ١١٤٦٤ ، دلائل النبوة للبيهقي : ٥/١٧٣ .

هؤلاء النخبة من الأنصار والمهاجرين ، الذين باعوا الأموال والأنفس ، وقدَّموا كل ما يملكون في سبيل نصرة هذا الدين الحنيف ، أراد الله لهم مكانة مرموقة في الدنيا والآخرة ، لذلك وكلما غرق بعضهم في الأمور المتعلقة بالدنيا ، جاء التوجيه القرآني والنبوي ، لينبههم إلىٰ ذلك ، وليعودوا إلىٰ ما كانوا عليه .

من هنا نعلم لماذا وجههم الرسول إلىٰ ما هو أهم من الغنائم ألا وهو تعلقهم برسول الله ، وكانوا بالفعل خير طائفة أخرجها الله للناس ، فرضي الله عنهم وأرضاهم .

* * *

فسلّم عليَّ!!

عن عاصم بن حميد السكوني قال :

لما بعث النَّبي ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن ، خرج النَّبي ﷺ يوصيه ومعاذ راكب والرسول يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ ، قال :

« يا معاذ! إنك عسىٰ ألا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمُرَّ بمسجدي وقبري » .

فبكىٰ معاذٌ خَشَعاً لفراق النَّبي ﷺ[1] .

* * *

إنها قمة التواضع!!

هل الرسول القائد بحاجة إلىٰ توديع جندي من جنوده ؟!

وهل الرسول العابد ، الذي غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ، هل هو بحاجة إلىٰ أن يطلب الدعاء من أحد أتباعه ؟!

أبداً ، لكنها العلاقة الحميمة بين الكبير والصغير ، بين القائد وجنوده ، بين خاتم الأنبياء وصحابته ، إنها علامة مميزة لم يعرف التاريخ أمثالها ، وأظن أنه لن يعرف في المستقبل!!

وصدق الله تعالىٰ عندما وصف رسوله مع الصحب فقال : ﴿مُحَمَّدٌ

---

(١) مسند أحمد : ٥/ ٢٣٥ ، دلائل البيهقي : ٥/ ٤٠٥ .

رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح : ٢٩] .

إضافةً إلىٰ ذلك كله ، فإن الرسول نعىٰ نفسه للآخرين ، وفي ذلك دليل علىٰ بشريته ﷺ .

* * *

الوضوح التام!!

عن صفية زوج النَّبي ﷺ قالت :

جئت رسول الله ﷺ أزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ثم قمت فانقلبت .

فقام النَّبي ﷺ معي يودعني حتىٰ إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مرَّ رجلان من الأنصار فسلَّما علىٰ رسول الله ﷺ ، فقال لهما النَّبي ﷺ : « علىٰ رسلكما ، إنما هي صفية بنت حُييّ » .

فقالا : سبحان الله يارسول الله ، وكَبُرَ عليهما .

فقال النَّبي ﷺ : « إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً »[1] .

* * *

في الشريعة الإسلامية لا توجد خطوط حمراء لا يمكن تجاوزها ، إنما يستطيع كل واحد أن يقرأ في القرآن ، فإذا أشكل عليه أمر فله الحق الكامل أن يستفسر ويسأل ويناقش ، وكذلك في الحديث النبوي والسيرة وما إلىٰ هنالك .

من جهة أخرىٰ تطلب الشريعة الإسلامية من أتباعها الوضوح التام ،

---

(١) صحيح البخاري : ٣/ ٦٥ ، صحيح مسلم : ٤/ ١٧١٢ .

وبشكل دائم ، بعيداً عن الكهنوتية والتقديس ونحو ذلك .

ولعل السبب في ذلك أن الشريعة تريد القضاء علىٰ الشكوك والوسوسات ونحو ذلك مما يعتري الإنسان .

ولا ضير في أن يقدِّم الإنسان كل الأمور التي تتعلَّق به بشكل واضح بعيداً عن الغموض والسريَّة ، وهذا هو منهج رسول الله ﷺ .

* * *